مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

مدركات العقل الأخلاقيّة ونظريّة الأمر الإلهي عند محمّد حسين الطباطبائي.. تحليلٌ ونقدٌ

تاريخ تقديم البحث:- ٢٠٢٥/١٠/٨
تاريخ قبول البحث:- ٢٠٢٥/١٠/١٩

د. جعفر صادق الجزائري (*)

الملخص

في هـذا البحـث نسـعى لرصـد دور العقـل الأخلاقي عند الفيلسـوف والمفكّر الديني المعاصر محمّـد حسـين الطباطبائي في إطـار نظريّتـه الدينية التي تحسب على نظرية (الأمر الإلهي) في الأخلاق، حيـث يؤمن بأنّ مصدر الأخلاق هو الأمر الإلهي، ونجـده في الوقـت نفسـه يعطـي العقـل دوراً في إدراكـه للقضايا الأخلاقيـة. فالعقل الذي يؤمن به الطباطبائـي في بحوثه الفلسـفية ظلّ حاضراً وأخذ مكانتـه في إطـار نظريّة دينية أخلاقيـة يتبنّاها مفكّر ديني ومفسّر قرآني.

السـؤال الأسـاس الذي نسـتجليه في دراسـتنا هـذه: هل نجـح الطباطبائي وتجاوز الإشـكاليات المفصليّـة في النظريـة الأخلاقيـة الفلسـفية في دمجه بـين التفسـير الدينـي للأخـلاق والإدراك العقـلي لهـا في إطـار نظريته؟ كيـف تعامل مع إشـكالات محوريـة من قبيل: ما هو مصـدر الإلزام في القضايا الأخلاقية؟ اسـتحالة اسـتنباط القضايا الأخلاقية الممكنـة مـن قضايا وجوديـة ضروريـة (= هيوم)، وكذلـك إشـكالية الاسـتثناء في قضايـا الأخلاق، فكيـف تجـاوز الطباطبائـي هـذه التسـاؤلات في نظريته؟

الكلـمات المفتاحيـة: الطباطبائـي، نظرية الأمر الإلهـي، الإلـزام الأخلاقـي، العقـل، القضايـا الأخلاقية، الفطرة.

(*) كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
lecbasra9@iku.edu.iq

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

المقدّمة

تُعدّ مسألة العلاقة بين الدين والأخلاق من أعمق الإشكاليات الفلسفية التي شغلت المفكرين قديماً وحديثاً، وذلك لما تنطوي عليه من تساؤلات تتعلّق بمصدر القيم، ومناط الإلزام، ودور العقل في إدراك الصواب والخطأ الأخلاقيين، وشرعية الربط بين الأوامر الدينية والحكم الأخلاقي. وقد تباينت الرؤى وتعدّدت الاتجاهات في الإجابة عن هذه الإشكالات، فمنها ما أسند مصدر الأخلاق إلى الطبيعة البشرية أو العقل، ومنها ما جعله منوطاً بالإرادة الإلهية، كما هو الحال في نظرية الأمر الإلهي التي مثّلت إحدى أقدم المحاولات لتأسيس الأخلاق على قاعدة دينية صِرفة.

وفي أفق هذا الجدل الأخلاقي الفلسفي، تبرز شخصية الفيلسوف والمفكر الإسلامي المعاصر محمد حسين الطباطبائي (١٩٠٣-١٩٨١م)، بوصفه أحد أبرز الذين سعوا إلى بناء نظرية أخلاقية متماسكة تستوعب الميراث الديني وتستند إلى أسس عقلية وفلسفية. فقد تناول الطباطبائي في كتبه التفسيرية والفلسفية ــ وبخاصة في رسائله « و»أصول الفلسفة» و»الميزان في تفسير القرآن» ــ مسألة الأخلاق من زوايا متعدّدة، محاولاً رسم معالم رؤية أخلاقية تجمع بين الفهم العقلي والتأسيس الشرعي، وتقدّم بديلاً عن التصورات المادية أو النسبية المعاصرة.

وتنطلق هذه الدراسة من الإشكالية المركزية الآتية: هل نجح الطباطبائي في تأسيس رؤية أخلاقية دينية عقلانية تتجاوز التناقض بين التفسير الإلهي للقيم الأخلاقية وإدراكنا لها بعقولنا؟ وبالطبع هذه الإشكالية تتفرّع منها مجموعة من الأسئلة التي نسعى إلى ملامستها، منها:

ما هو مصدر الإلزام الأخلاقي في نظرية الطباطبائي؟

كيف تعامل مع إشكالية "استحالة استنتاج القيم الأخلاقية من القضايا الوجودية" كما طرحها هيوم؟

ما حدود إدراك العقل للقيم في تصوره؟

هل تمكّن الطباطبائي من بناء نسق متماسك ينسجم مع رؤيته العقائدية والفقهية والفلسفية والتفسيرية دون الوقوع في التناقض أو الغموض؟

وقد تعدّدت الآراء في تفسير نظرية الطباطبائي الأخلاقية، فيعتقد بعض الباحثين[٢]، أنّ العلامة الطباطبائي لديه أكثر من نظرية في الأخلاق، بل بعض الباحثين يلمّح – وبعض يصرّح – بوجود تناقض لدى العلامة وعدم تطابق بين نظرياته إلى درجة التقاطع[٣]، بل أوصلها بعض[٤] إلى أربع نظريات!

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية نقدية متعمقة في نظرية الطباطبائي، من خلال استكشاف دور مدركات العقل في بنية تصوّره الأخلاقي، ورصد مدى انسجامها مع نظرية الأمر

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الإلهي التي يتبناها، وبيان موقع الفطرة والعقل في إدراك الحسن والقبح ضمن منظومته، مع تسليط الضوء على مواطن القوّة ومكامن الإشكال في هذا البناء النظري.

وتتميّز هذه الدراسة، بحسب ما أمكن لنا متابعته، بمحاولة تقديم صياغة متكاملة وموحّدة لنظرية الطباطبائي في الأخلاق، تُبعد عنها شبهة التناقض أو الازدواج في الرأي، من غير أن تتجاهل وجوه النقد الممكنة، بل تسعى إلى تحليلها وتقديم تقويم علمي لمواضعها.

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي النقدي، من خلال استقراء نصوص الطباطبائي الفلسفية والتفسيرية، وتحليل بنيتها النظرية، وعرضها في ضوء الإشكالات الأخلاقية الكلاسيكية والمعاصرة، لا سيّما إشكالية الفصل بين « الوجودي» و" ما ينبغي"، ومصدر الإلزام الأخلاقي، وحدود العقل في إدراك القيمة.

وقد قُسِّم البحث إلى تمهيد وثلاث مطالب رئيسة وخاتمة:

التمهيد: الآراء في قضايا الأخلاق بين العقل والدين (نظرية الأمر الإلهي).

المبحث الأول: التحليل التفصيلي لرؤية الطباطبائي الفلسفية لإدراكات العقل في قضايا الأخلاق.

المبحث الثاني: التحليل التفصيلي لرؤية الطباطبائي التفسيرية والعرفانية في قضايا الأخلاق.

المبحث الثالث: خاتمة مع مراجعة نقدية..

تمهيد

تُعَدُّ مسألة العلاقة بين الدين والأخلاق من أعقد المسائل الفكرية وأشدّها إثارة للجدل، إذ حفلت عبر التاريخ برؤى متعددة، وتفسيرات متباينة، تنطلق كلٌّ منها من منطلقاتها المعرفية، والدينية، والوجودية، وغيرها. ولسنا هنا بصدد عرض هذه الاتجاهات وتفصيل حججها، فذلك مقام آخر يتطلّب بسطاً وتوثيقاً، وإنما نكتفي في هذا الموضع بالإشارة إلى حقيقة هذا التعدّد وتنوّع المنطلقات، وبمقدار ما يتعلّق بالورقة البحثية هذه.

من بين أبرز هذه النظريات وأعمقها أثراً في الفكر الأخلاقي، تبرز نظريتان متقابلتان: الأولى: نظرية تبعية الأخلاق للدين، المعروفة بـ«نظرية الأمر الإلهي». وتُعدّ هذه النظرية من أقدم الاتجاهات في فلسفة الأخلاق، إذ تؤسس لرؤية ترى أنّ معيار الحسن والقبح إنّما هو **الإرادة الإلهية**، وأن ما يلحق الأفعال الإنسانية من قيمة خلقية – إيجاباً أو سلباً – مرتهن بأمر الله ونهيه. فكل ما أمر به الشرع فهو حسن، وكل ما نهى عنه فهو قبيح، ولا معنى للأخلاق خارج إطار الأمر الإلهي.

وليس هذا التصور قاصراً على ما تبناه المتكلّمون الأشاعرة – رغم الجدل القائم في تفسير

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

موقفهم بدقّة – بل إن جذوره تمتدّ إلى أعماق أبعد في تاريخ الفكر الإنساني، حيث طرح **سقراط** تساؤلاً شهيراً في أحد حواراته: «هل يكون الفعل صالحاً لأنه محبوب عند الآلهة، أم أن الآلهة تحبّه لأنه صالح؟»

وقد ظلّ هذا السؤال حاضراً في مختلف مراحل تطور الفكر الأخلاقي، وظهرت له أصداء في الديانات القديمة، وفي كتابات عدد من الفلاسفة والمفكرين عبر العصور، وصولاً إلى العصور الحديثة، حيث أعيد طرح النظرية بصور متعدّدة وتفسيرات متباينة، لكنها جميعاً تتمحور حول مركزية الإرادة الإلهية في تحديد القيمة الخلقية للأفعال.

النظرية الثانية: التباين بين الأخلاق والدين:

فهناك من يرى التباين بين ميداني الدين والأخلاق، والقطيعة الكاملة، والاستقلالية التامّة لقاضيا كل من الأخلاق والدين أحداهما عن الآخر، ويرى أنّ: «القول باستقلالية المعرفة الأخلاقية عن المعرفة اللاهوتية – عن الوحي– هو من السمات البارزة للفكر الكاثوليكي، بعامة. إنّ المبادئ الأساسية للأخلاق، بناء على وجهة نظر القديس توما الأكويني، المفكّر الأكثر أهمية وأثرا في الفكر الكاثوليكي اللاحق، هي مبادئ واضحة بذاتها. إنّها ترتبط بالعقل العملي (العقل الأخلاقي) مثلما ترتبط المبادئ الأولى بالعقل التأملي.»[٥]

ثم يضيف الكاتب أعلاه: «نجد موقفا شبيهاً بالموقف الأخير لدى المعتزلة، فالحسن والقبح في الأفعال ذاتيان في نظر المعتزلة، وما يعنيه هذا، على وجه التحديد، هو أنّ العقل مدرك للقيم الأخلاقية لا مُنشئاً لها. أنّ للقيم، إذن، وجوداً موضوعياً مستقلا عن الوحي... الشرع مخبر لا مثبت. والمبادئ الأخلاقية باعتبارها مبادئ عقلية مستقلة منطقياً عن الأوامر والنواهي الإلهية. ولهذا السبب بالذات فإنّ المعرفة الأخلاقية مستقلة عن المعرفة الدينية.»[٦]

هذا التوجّه لدى التفكير العلماني، الذي يفصل بين الدين والأخلاق وبشكل مطلق، هو الحاكم على التفكير العلماني المعاصر برمته تقريباً، وفي كل مجالات المعرفة والسياسة وغيرها.

ويطرح أصحاب هذه النظرية عدة أدله لإثباتها، من جملتها الاختلاف في الموضوع بين الأخلاق والدين، فموضوع الدين – برأيهم – هو علاقة الإنسان بالله تعالى، وموضوع الأخلاق هو علاقة الإنسان بالإنسان. ولا يخفى أنّ هذه الحجّة تعتمد في محتواها على تعريف الدين.

ومن الحجج على ذلك أنّ الأخلاق تفترق عن الدين في الهدف، فالهدف من الدين هو تكامل الإنسان أو نيل الثواب والعقاب حسب التفسيرات والفلسفات المطروحة للدين، كما هو الحال في الهدف من الأخلاق يختلف بحسب الرؤية التي ينطلق منها أصحابها والتي هي بيان تشريعات لإدارة الحياة قد تكون معاييرها اللذة أو

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

السعادة أو الامتثال للواجب بما هو واجب.. لكن تبقى كل هذه الحجج جدلية أو فلسفية أقصى ما يمكن القول عنها، قابلة للأخذ والرد واستمرار الاحتجاج المتقابل..

لكن الحجّة الجديرة بالبحث هي (الحجّة المنطقية) أو المعرفية التي تقضي بأنّ القول بالارتباط بين المقولات الأخلاقية والدينية يواجه استحالة منطقية.

وتعدّ الإشارة إلى (استحالة ذلك منطقياً) من أقوى الحجج المنطقية على التقاطع والتباين بين الأخلاق والدين وعدم إمكانية الجمع بينهما، وتتبنى الاستقلالية التامة بين المعرفة الأخلاقية والمعرفة الدينية، وتعود حجّته وبشكل أساس إلى إشكالية هيوم (العتيدة) التي يعتمد عليها. وهذا واضح لمن تابع المنظرين لهذه الفكرة كعادل ضاهر في كتابه (الأسس الفلسفية للعلمانية) أو كتبه الأخرى. وأعني بإشكالية هيوم: مسألة عدم إمكانية استنتاج ما ينبغي أن يكون (= الأخلاق) مما هو كائن (= مثل الدين) وتمثل هذه الحجّة عند أصحابها دليلا وبرهانا منطقياً مهماً واضحاً.

فقد مثّلت هذه المسألة محوراً ومفترقاً أساسياً من محاور الافتراق في البحث الأخلاقي الغربي، حتى أضحى البحث في الأخلاق، ولدى كثير من الباحثين في الفكر الأخلاقي على تنوعهم، يدور مدار قدرته على الإجابة على هذا الإشكال مباشرة أو تجاوزه، فالذي يوافق على رأي هيوم ويؤمن بالقطيعة ما بين قضايا الحقيقة وبين قضايا الأخلاقيات سيختار – بطبيعة الحال – مذهباً أخلاقيا مناوئاً أو مبتعداً عن كل جذر ديني. أمّا من لا يقبل بهذه الإشكالية فيمكنه أن يؤسّس الأخلاق وفق معطيات دينية وحْيانية، لكن عليه في بادئ الأمر أن يجيب على هذا الإشكال ويحلّه منطقياً.

وهذه النظرية تمثّل وتدّعي موقفاً شاملاً ومتماسكاً من الناحية الأبستمولوجيا في مواجهتها للدين من حيث طبيعة الدين وطبيعة العقل وطبيعة القيم وطبيعة السياسة... فهي تدّعي: «أنّ الإنسان ليس فقط قادرًا على أن ينظّم شؤون حياته الدنيوية باستقلال عن هذا الدين أو ذاك، بل إنّه ملزمٌ أيضًا أن يفعل هذا لاعتبارات فلسفية عديدة.. من هذه الاعتبارات ما هو أبستمولوجي ويتعلّق بطبيعة المعرفة الدينية، على افتراض إمكانها».(٧)

فهذا المفصل المهم – في الإجابة على التساؤل: هل يمكن استنتاج القضايا الأخلاقية من القضايا التي تقع خارج علم الأخلاق أو العكس؟ – وضع بحث الأخلاق والقيم – كما قلنا – أمام تحدٍّ منهجي دقيق وصارم، وفي مفترق طريق مهم. فالإجابة على السؤال تستدعي تبني اتجاهاً معرفيا يفسّر من خلاله الإجابة بالنفي أو الإثبات لهذا السؤال.

ولا بد من التذكير أنّ المراد بالاستنتاج الذي يستدل على استحالته هو ما يضفي على القضايا

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الأخلاقية محركيتها (إلزامها) تجاه الأفعال وسلوك الإنسان، لكونها سترتبط منطقياً (بواسطة الحد الأوسط) بقضايا كائنة ضرورية (أنطلوجية) فيمكن أن تستمد منها ضرورة تحقّقها (= الإلزام). فنلاحظ أنّ عنصر الإلزام ومنشأه بات هو المعيار في تصنيف نوعية الأخلاق وطبيعة علاقتها بالدين (=الإله وصفاته) أو القضايا الوجودية.

ولذا نحن بحاجة أن نفحص رأي محمد حسين الطباطبائي مع هذا الإشكال ضمن رؤيته للقضايا الأخلاقية العقلية أو الدينية، وكيف عالج قضية هذا السؤال عند التعرض لبيان نظريته. فإنّ عدم حل هذا الإشكال والإجابة عليه بجواب مقنع ومتماسك منطقياً، سيمنعنا منهجياً – وبشكل مؤكّد – من الخوض في استكشاف نظرية أخلاقية دينية بشكل عام، أو مستمدة من القرآن والنصوص الدينية على وجه خاص، حيث سيكون الكلام وقتئذٍ مبني على مصادرة كبيرة تمثل انهيار الأساس المنطقي للموضوع برمته، والإبهام في مصدر الإلزام وطبيعته في القضية الأخلاقية حينئذٍ.

فمحور الارتكاز في هذه النظرية: أنّ الإلزام الأخلاقي مصدره بشري وعقل الإنسان لا غير، بلكه لا يمكن أن يكون الدين مصدراً له، بسبب استحالة منطقية ومنهجية!

لكن الجدير بالاهتمام وبالمتابعة هو كيف يفلسف أصحاب الاتجاه الديني وجود الإلزام الأخلاقي العقلي ويبررونه منطقياً، وما هو دوره؟ بحيث لا يقع تضاد في كلا الجانبين العقلي والديني، أعني أحكام العقل وأحكام الدين. وما هو نوعه ووجه الإلزام الأخلاقي وتعريفه حينها؟ هذا ما شرحه الطباطبائي في نظريته بتحليل طوّر فيه فكرة استلهمها من أستاذه في أبحاث أصول الفقه مع ما تراكم من آراء ونظريات فلسفية سابقة في هذا المضمار، فاعتبر هذه القضايا توافقات عقلائية لها واقع تنشأ منه وتؤثّر فيه. واعتبر الإلزام نابع فيها بقوة إدراك العقل لضرورة الانسجام وضرورة الاجتماع والتكوين وجلب المنفعة ودفع الضرر، وكما سيأتي بيانه في نظريته. وذلك بانسجام أحكام الوجدان الأخلاقي (العقل الأخلاقي = الضمير = الفطرة) مع إلزامات تشريعية صادرة من الوحي، وبتفصيل سنأتي على بيانه وإبراز أسسه.

المبحث الأوّل: الرؤية الفلسفية للمدركات العقلية الأخلاقية عند الطباطبائي

المطلب الأول: تحليل وتوضيح المدركات العقلية الأخلاقية فلسفياً

١ – الفرق بين المدركات العقلية الحقيقي والاعتبارية والغاية منها:

يفرّق الطباطبائي بين ثبوتين للمدركات: "أحدهما: ثبوت حقيقي يترتّب عليه الآثار، ولا ينقلب عمّا هو عليه. والثاني: ثبوت اعتباري، وهو الذي إذا قايسناه مع الموجود الحقيقي لم نجده، ممّا يترتّب عليه الآثار من حيث هو كذلك، ونسمّي

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

ما يحمل عليه هذا الوجود بالأمر الاعتباري"[٨]. ويجد العلامة أنّ كلا هذين النوعين من المدركات ضروري لحياة الإنسان. فبينما يكون المدرك الحقيقي منشأه الواقع والعقل إنّما يصفه بإدراكه له.

و يكون منشأ وجود الأمر الاعتباري هو حاجة الإنسان لهذا الأمر الاعتباري لترتيب آثار عليه، وهذا الأمر هو الذي جبل عليه الإنسان بالفطرة، ففطرة الإنسان تقتضي اعتبار بعض الأمور الاعتبارية للوصول إلى غايات تخدم مصلحة الإنسان ونيله السعادة والكمال فإنّما اضطر الإنسان إلى تصوّرها أو التصديق بها لحاجة الحياة، وابتغاء سعادة الوجود بالاجتماع والتمدن،[٩] وعلى الرغم من كونها قضايا اعتبارية لكنها اعتبرت للتوصل بها إلى غرض حقيقي أو ما ينتهي بها إلى غرض حقيقي.[١٠]

٢- القيم الأخلاقية وموقعها من المدركات العقلية:

وتعتبر القيم الأخلاقية بما تمثله من مرجعية أخلاقية يحتكم إليها ثابتة لا تتغير، ويدركها الإنسان بالفطرة، لكن الحكم على الأفعال كمصاديق لهذه القيم من الخير والصدق... يعتبر متغيّراً بحسب الأحوال والأزمان " فالعدل حسن، والإحسان إلى مستحقه حسن، والتعليم والتربية والنصح وما أشبه ذلك في مواردها حسنات، والظلم والعدوان وما أشبه ذلك سيئات قبيحة، لملاءمة القبيل الأول لسعادة الإنسان أو لتمتعه التام في ظرف اجتماعه وعدم ملاءمة القبيل الثاني لذلك، وهذا القسم من الحسن وما يقابله تابع للفعل الذي يتصف به من حيث ملاءمته لغرض الاجتماع فمن الأفعال ما حسنه دائمي ثابت إذا كان ملاءمته لغاية الاجتماع وغرضه كذلك كالعدل، ومنها ما قبحه كذلك كالظلم.

ومن الأفعال ما يختلف حاله بحسب الأحوال والأوقات والأمكنة أو المجتمعات فالضحك والدعابة حسن عند الخلان لا عند الأعاظم، وفي محافل السرور دون المأتم، ودون المساجد والمعابد، والزنا وشرب الخمر حسن عند الغربيين دون المسلمين."[١١]

فنلاحظ تفريقاً مهماً في كلام العلامة بين القيم الأساسية والتي تعتبر مرجعيات ثابتة تنسجم مع سعادة وكمال الإنسان، من جهةٍ، وبين الحكم على الأفعال التي تقع في سياق الاجتماع الإنساني وممارسة الإنسان لحياته، من جهة أخرى. فهذه الأفعال يحكم عليها بأحكام بما يناسبها، فقد تتغير بحسب الزمان والمكان والظروف التي تحيط بالفعل.[١٢]

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

المطلب الثاني: الأساس الفلسفي للمدركات الاعتبارية:

١- التمييز بين النظام الاعتباري والنظام الحقيقي بحسب الأساس الفلسفي: يرى العلامة الطباطبائي أنّ العقل لديه القدرة على إدراك نوعين من المدركات بشكل أساسي:

الأول: وهو المدركات الحقيقية: ويقصد بالمدركات الحقيقية هي التي يكشف عنها العقل ويكون لها واقع ثابت وراء هذا الكشف، وتترتب الآثار الحقيقية على هذه المدركات الحقيقية ويحكمها النظام التكويني الواقعي وقوانيه كاستحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما والعلية والمعلولية، ويجري فيها البرهان.(١٣)

والثاني: المدركات الاعتبارية

حيث يرى الطباطبائي أن العقل يقوم بنشاط يكون أحيانًا على نحو ننقل تعريفًا أو وصفًا يخصّ شيئًا معينًا، ونمنحه لشيء آخر، ليس بدافع الحقيقة الموضوعية، وإنما بدافع انفعالي أو عاطفي. فنعتبره أنّه كذلك كما لو: وصف شخص واعتبر بالشجاع كالأسد لأننا نحبه أو نتأثر به، حتى لو لم يكن فعليًا كذلك بالمعنى الدقيق. الغرض من هذا الإسناد هو إحداث آثار عملية على هذا الاعتبار لها دور في المجتمع أو على الفرد، بما يتفق مع تلك العوامل الانفعالية.

وهكذا مثلًا: إذا وصفنا عملًا معيّنًا بأنه «قبيح» أو «غير أخلاقي»، فإننا نسعى لدفع الناس إلى اجتنابه، لا لأن هذا الوصف نابع من الحقيقة الكونية المطلقة، بل لأنه يوافق انفعالنا السلبي تجاهه، وكل ذلك بما يلائم كمال الإنسان وسعادته التي يدركه بعقله وفطرته المجبول عليها لترتيب الأثر المنشود نحو كماله بهذا الاعتبار. وكما يصرّح «الاعتبار كما قرع سمعك مرارا هو إعطاء حدّ شيء أو حكمه لشيء آخر لغرض ترتب آثار الحقائق عليه»(١٤). فالقضايا الاعتبارية مجعولة لغرض حقيقي وإن كانت بذاتها اعتبارية.(١٥) والإدراكات الاعتبارية: قضايا كاذبة - بنظرة واقعية - لكنها ذات أثر، و الإدراكات الاعتبارية قضايا مجازية لها مطابق في عالم الوهم.(١٦)وهي قد تكون رهن الإحساسات والأغراض، فما دامت موجودة فهي موجودة، وبذهابها تذهب، وتتغير تبعاً لتغيرها، والمقياس الوحيد الذي يحكم في الإدراكات الاعتبارية هو كونها لغوية أو عدم لغوية الاعتبار(١٧)

٢- العلاقة الاستنتاجية بين المدركات الواقعية والمدركات الاعتبارية وإشكال دايفيد هيوم:

وكما بيّنا يرى العلامة الطباطبائي أن كثيرًا من الأحكام الأخلاقية والاجتماعية لا تصدر عن إدراك مباشر للحقيقة الخارجية، بل هي (اعتبارات عقلائية) تنشأ من انفعال النفس وتأثرها، بحيث يُنقل وصف أو حدّ يخص شيئًا ما إلى شيء آخر، لا بدافع الضرورة المنطقية، وإنما بغرض إنتاج آثار عملية تتلاءم مع ذلك الانفعال. فالحكم على فعلٍ بأنه «قبيح» أو «حسن» ليس دائمًا نتيجة مناشئ

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

برهـان عقـلي خالص، بل قـد يكون بدافع ميل أو محبوبيـة أو نفور أو مبغوضية، بهدف دفـع الناس إلى فعل أو ترك أمر معيّن.

يمكن عدّ هذه الرؤية تمثّل عند الطباطبائي في واقعها معالجة خاصة لإشـكال دايفيد هيوم العويصة حول (الانتقال من "الكائن" إلى "الواجب")، إذ لا يرى الطباطبائي هذا الانتقال ضربًا من القفز المنطقي فحسب، بل يعتبره نتاجًا لبنية ذهنية اجتماعية تجعل من الواقع مادةً لصياغة اعتبارات جديدة، يُقصد بها تنظيم الحياة وتحقيق السعادة ودفع الشقاء. وهكذا يصبح "الواجب" في هذه الحالة، ليس استنتاجًا مباشراً من الواقع، وإنّما صورة اعتباريـة تصنعها النفس العاقلـة تحت تأثير حاجاتها وانفعالاتها، ثم تُضفي عليهـا صبغة الإلزام.[١٨] والجدول أدناه يبيّن بحسب معايير أساسية الاختلاف بين الرؤيتين:

معيار المقارنة	موقف دايفيد هيوم	موقف محمد حسين الطباطبائي
التعريف الأساسي للإشكال	يعتبر أن هناك قفزة غير مبررة من إلى إصدار ((=كائن) وصف الواقع (=ما ينبغي أو الواجب حكم معياري من دون تبرير منطقي الأخلاقي) .كافٍ	يرى أن الانتقال من «الكائن» إلى «الواجب» ليس خطأً منطقيًا بحتًا، بل هو عملية اعتبارية عقلائية، حيث تُنقل أوصاف من الواقع إلى المجال الاعتباري بدافع .انفعالات وحاجات عملية
مصدر الأحكام المعيارية	ينفي أن الأحكام المعيارية يمكن اشتقاقها من الواقع وحده، ويؤكد أن مصدرها الانفعالات أو الميول وليس .العقل المجرد	يرى أن هناك أساسًا واقعيًا، لكن صياغة الواجب تتم عبر الاعتبار الذي يُنشئه العقل الاجتماعي لتحقيق أغراض عملية (مثل .السعادة أو دفع الشقاء)
العلاقة بين الواقع والمعيار	يفصل بين الواقع والمعيار، ويرى أن الأحكام المعيارية منفصلة عن أوصاف الواقع ولا تنشأ منه .بالضرورة	يدمج بين الواقع والاعتبار، بحيث يكون الواقع مادة خام، والاعتبار صياغة إلزامية .تُبنى عليه لتحقيق غايات حياتية
مبرر الانتقال	يرفض أي انتقال إلا إذا بُرّر بمقدمات معيارية واضحة، وهو ما .يراه غالبًا غير ممكن	يبرر الانتقال باعتباره ضرورة اجتماعية لتنظيم السلوك الإنساني، وليس مجرد استنتاج .منطقي
دور العقل والانفعال	يرى أن الانفعالات وحدها هي المحرك، وأن العقل خادم لها، وليس .منشئًا مستقلاً للأحكام	يرى أن الانفعالات والحاجات الحياتية محفّز أساسي، لكن العقل يقوم بصياغتها .ضمن نظام معياري منضبط

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

يتضح من المقارنة أنّ العلّامة الطباطبائي لا يرفض مضمون الملاحظة التي أوردها ديفيد هيوم بشأن الفجوة بين ما هو الواقع وما هو حكم معياري، غير أنّه يعيد مقاربتها في إطار ما يطلق عليه بـ»الاعتبارات العقلائية». فالمعطى الواقعي يمثّل – في نظره – المادة الأولية للحكم، في حين يقوم الاعتبار، بوصفه فعلًا عقليًّا ذا طابع اجتماعي، بتحويل هذه المادة إلى صيغة إلزامية تهدف إلى تحقيق مقاصد عملية، مثل بلوغ السعادة ودفع الشقاء. ومن ثمّ، يدمج الطباطبائي بين البنية الواقعية للحكم الأخلاقي والأساس العملي له، بحيث يصبح الانتقال من «الكائن» إلى «الواجب» ضرورة حياتية تقتضيها متطلبات الوجود الإنساني، لا مجرد إشكال منطقي صرف. أمّا هيوم، فيستمر في تبنّي الفصل القاطع بينهما، مُرجعًا مصدر الثاني إلى الانفعال دون العقل، وهو ما يترك فجوة معيارية لا يمكن ردمها إلا بقبول مقدمات معيارية مستقلة.[١٩]

المبحث الثاني: الرؤية الدينية والقرآنية للمدركات الأخلاقية عند الطباطبائي:

١. المدركات الأخلاقية بين الوحي وفطرة الإنسان:

يؤكد الطباطبائي على الربط بين الفطرة والدين في استيعاب القيم – الأخلاق كجزء من «الهداية التشريعية». يركز الطباطبائي في رؤيته القرآنية للنظام الأخلاقي على أمور أساسية تكون بمثابة العناصر المكونة لنظريته القرآنية، وإن لم يصرّح كعناصر متكاملة للنظرية، لكن عرضه لها والوقوف عندها في توضيح البعد الأخلاقي لدى الإنسان، يوضح بشكلٍ لا لبس فيه أنّ الطباطبائي يعتبرها أسساً لرؤيته الأخلاقية.

نجد الطباطبائي يفرق بين نوعين من الهداية التي يحتاج إليهما الإنسان في حياته، وهما اللتان تقوم بهما حياته المادية والروحية معاً، وكلا هذين النوعين من الهداية له دور منفرد لكنه مكمّل للآخر ومرتبط به. الأول: الهداية التكوينية. والآخر الهداية التشريعية. ويؤكد على أنّ الهداية التي هي نوع إيذان وإعلام منه تعالى للإنسان تسمى (هداية فطرية)، وهي تنبيه بسبب نوع خلقته وما جهز به وجوده بإلهام من الله سبحانه على حق الاعتقاد وصالح العمل، قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)[٢٠] ...

والنوع الثاني: (هداية قولية) من طريق الدعوة يبعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع الإلهية.[٢١]

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

ويعبر عن دور الفطرة في الهداية نحو الكمال في مكان آخر قائلاً: "... هذا هو الوجوب الاعتباري ومنشأه الضرورة الحقيقيّة. وكان هذا أوّل خديعة خدعت بها الفطرة الإنسانيّة إيّاه لتتوصّل بها إلى الخير بالذات والكمال المطلق الحقيقي".(٢٢)

فقد لعبت الفطرة في جانبها الذي أكد عليه القرآن والنصوص الدينية دوراً مهماً وأساسياً في النظرية الأخلاقية لدى العلامة الطباطبائي بشكل عام، فشكّلت حلقة مهمة في حل بعض أهم إشكالات الحكم الأخلاقي، كالحرية، والإلزام الأخلاقي، وقوة التشخيص للخير والشر. فكانت هي الخيار الحاسم ونقطة الارتكاز في النظرية في كثير من المسائل.

هذه العنصر (الفطرة) وما له دور من تزويد الإنسان ببوصلة إدراك مواطن الحسن وتحريك الإنسان باتجاهها أو القبح في الأشياء وإبعاده عنها، هو الذي ميّز رأي الطباطبائي عن النظريات الماديّة التي تجعل البناء الآيدلوجي للأخلاق تابعاً للمصالح الماديّة الخارجية، وبالتالي سينتج الإنسان أخلاقه ودينه بحسب رغباته وحاجاته المتغيّرة.. وهذه فذلكة قد تدفع الملاحظة التي نقلها الدكتور سروش على رأي العلامة الطباطبائي حكايةً عن تلميذه الشيخ مرتضى مطهري، وتعتبر نقطة محورية ومفصلية في فهم العلامة ونظريته.(٢٣)

ومع هذا سيكون اعتماد العلامة الطباطبائي على عنصرٍ (كالفطرة) بما يلعبه من دور مهم في نظريته وفي استحكامها وسد الثغرات المتعددة، يواجه تساؤلات في عملية النقد فهل يستطيع بحث العلامة الإجابة والإقناع للقارئ وقتئذٍ؟؟

٢- في ضوء القرآن الغاية في الأخلاق تحدد نوع الإلزام والبعث الأخلاقي:

يذكر العلامة الطباطبائي عند الحديث عن (المسالك الأخلاقية) في تفسير الميزان في الجزء الأول، والذي نفترض أنّه من بدايات ما كتبه (رحمه الله)، وجود ثلاث مسالك،(٢٤) يميز بينها بحسب الغايات المطلوبة والأهداف المنشودة من الفعل، فيكون بحثه بشكل واضح وصريح حول الغاية والهدف من وراء الفعل الأخلاقي. والجانب الغائي هنا هو الذي يبيّن روح (الإلزام) الذي يحكم القضية الأخلاقية في كل من النظريات الثلاث التي يطرحها العلامة الطباطبائي.

فقد أسفر كلام العلامة وتحليله عن ثلاث مسالك يفرزها بوضوح وتصريح منه، تختلف بحسب الغايات التي ميّزها، ثم يختار منها المسلك الثالث، وهو مسلك اختص به وببيانه القرآن، ويطلق عليه مسلك الأخلاق التوحيدية. أما المسالك الثلاث فهي كما يلي:

المسلك الأول: مسلك الأخلاق الاجتماعية، وهو مسلك الفلاسفة والماديين، وهو ذو نظرة مادية وتكون الغاية في هذا المسلك غاية دنيوية. قال العلامة الطباطبائي: "وهذا هو المسلك المعهود الذي رتب عليه علم الأخلاق، والمأثور من بحث

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الأقدمين من يونان وغيرهم فيه..

ولم يستعمل القرآن هذا المسلك الذي بناؤه على انتخاب الممدوح عند عامة الناس عن المذموم عندهم، والأخذ بما يستحسنه الاجتماع وترك ما يستقبحه، نعم ربما جرى عليه كلامه تعالى فيما يرجع بالحقيقة إلى ثواب أخروي أو عقاب أخروي»[٢٥]، بمعنى أنّ هذه القضايا المادية المستهدفة والمديح من قبل العقلاء قد يتوافق مع ما دعا له الله تعالى في تعاليمه الدينية، ويكون ممّا يتوافق مع وقوع الثواب والأجر الأخروي عليه فلا ضير في اجتماع ذلك. لكن المنظور من لدن الفاعل والغاية القصوى المنشودة هي تحسين العقلاء لفعله وتجنّب ذمهم له.

المسلك الثاني: مسلك التكاليف الدينية وهو مسلك الغاية الأخروية، حيث تستهدف الأخلاق الثواب وتجنب العقاب الأخروي.

يبرز هنا تمايز جوهري بين هذا المسلك القرآني ـ النبوي وبين المسلك العقلي ـ الإنساني المحض. فالمسلك الأول (الإنساني المادي) يجعل من الإنسان مبدأً وغايةً في آن واحد، إذ يستمد معاييره من العقل البشري وحده، ويقيس سعادته بما يراه حسناً أو قبيحاً في إطار دنيوي محدود. أما المسلك القرآني، فهو أوسع أفقاً وأعمق جذراً، إذ يستند إلى الوحي بوصفه كشفاً إلهياً يتجاوز حدود الإدراك البشري، ويجعل من السعادة الأخروية غاية عليا تتخطّى حدود الحياة الفانية إلى دار البقاء.

في هذا المسلك، الأخلاق ليست مجرد توافق اجتماعي أو أعراف متداولة، بل هي جزء من الهداية التشريعية التي بعث الله بها أنبياءه وأنزل بها كتبه، لتكون طريقاً لتزكية النفوس وتهذيبها، وتحقيق غاية إنسانية أسمى هي القرب من الله والفوز بالنعيم الأبدي. فالأساس المعرفي للأخلاق هنا يتكامل بين العقل والوحي: إذ يلتفت إلى الأحكام العقلية الكلية، لكنه يربطها بسنن الله الغيبية كالقضاء والقدر، ويكشف للإنسان عن المصير الأخروي لأعماله، فيرغّبه بالسعادة ويدفعه عن الشقاء.

ومع أنّ الملاك الأخلاقي يظل قائماً على اعتدال قوى النفس واجتناب الإفراط والتفريط، إلا أنّ الدافع في هذا الطريق ليس نيل اللذة الحاضرة أو رضى المجتمع، بل بلوغ السعادة الحقيقية في الدار الآخرة. ومن هنا فإنّ التربية الأخلاقية لا تتحقق إلا عبر الارتقاء من مستوى الإدراك الوهمي والخيالي إلى مستوى الإدراك العقلي البرهاني، حيث تنكشف الفضائل والرذائل بواقعها الموضوعي، لا بما تمليه المشهورات أو العرفيات الاجتماعية. فالعقل الفردي المستنير بالوحي يغدو الحكم الحقيقي على الأفعال، أصدق وأوثق من العقل الجمعي المقيّد بالأعراف.

وهذا هو جوهر الرسالة التي اصطفاها الأنبياء جميعاً، كما نصّ عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة، حيث رسموا للإنسان خريطة وجوده منذ النشأة الأولى، مروراً بمحطات حياته الدنيا، وصولاً إلى المصير الأخروي الذي يتحدد بنوعية عمله

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

واختياره. ومن أجل ذلك دعت الرسالات إلى التزكية والتهذيب، ليتهيّأ الإنسان لمقام القرب من الله، ويتمتع بنعيم الجنان، ويتنزه عن عذاب النيران.

المسلك الثالث: الأخلاق التوحيدية أخلاق الحب والعبودية، وهو المسلك الذي اختص القرآن ببيانه والتأكيد عليه حيث تكون الغاية فيه (رضوان الله تعالى).

فهذا مسلك وطريق ثالث لتهذيب النفس وإصلاح الأخلاق، وعلى حد تعبير العلامة الطباطبائي فإنّ هذا المسلك من مختصات القرآن الكريم ولا تجده في غير تعاليمه. ويعتمد على فهم هذه النكتة، ألا وهي: أن يصل الإنسان بنفسه إلى مقام العبودية لله (عبداً لله) وتكون كل حركاته وسكناته بدافع رضوان الله تعالى لا غير. فهنا – فضلاً عن أنّه لا يعتني بالمنفعة الدنيوية أو بتحسينات الآخرين وآراءهم – سوف لا يكون همّه الثواب الأخروي ولا النجاة من العقاب. سيكون همّه الوحيد جلب وتحقيق رضوان الحق تعالى والوصول لمقام العبودية، وحالة من الحبّ بين الخالق والمخلوق: "وقد أهدى هذا المسلك إلى الاجتماع الإنساني جماً غفيراً من العباد الصالحين، والعلماء الربانيين، والأولياء المقربين رجالا ونساء، وكفى بذلك شرفا للدين.

على أنّ هذا المسلك ربّما يفترق عن المسلكين الآخرين بحسب النتائج، فإنّ بناءه على الحبّ العبودي، وإيثار جانب الربّ على جانب العبد، ومن المعلوم أنّ الحبّ والوَلَه والتَّيم ربّما يدل الإنسان المحبّ على أمورٍ لا يستصوبه العقل الاجتماعي الذي هو ملاك الأخلاق الاجتماعية، أو الفهم العام العادي الذي هو أساس التكاليف العامة الدينية، فللعقل أحكام، وللحبّ أحكام"[٢٦]

قد يقال: إنّ الإنسان شاء أو أبى لا بدّ من قصد وغاية لأفعاله في جلب منفعة أو دفع مضرة، لكن هنا في هذا المسلك لا يكون المحور للعمل هو كسب النفع أو دفع الضرر، لأنّ العبد هنا يصل – حسب الافتراض – إلى مقام لا يرى لوجوده استقلالية ليكون له غاية في جلب النفع لنفسه أو دفع الضرر عنها، بل سيكون أساس ومحور حركته [= الإلزام] هو مقام الشوق والمعرفة الإلهية. فيكون هدفه هو المحبوب الله تعالى، ولا يوجد دوافع أو أي أهداف لها قيمة قباله، لأنّه اطلع وأراك حقيقة وقيمة نفسه في هذا الوجود في مقام الخالق والمحبوب فيستحيل عليه أن يقدم على فعل لغاية نفسية وهو لا يرى لنفسه شأناً من الشأن ولا غاية له إلا كسب رضوان الله ورضا المحبوب يقول العلامة:

"وهاهنا مسلك ثالث مخصوص بالقرآن الكريم لا يوجد في شيء مما نقل إلينا من الكتب السماوية، وتعاليم الأنبياء الماضين سلام الله عليهم أجمعين، ولا في المعارف المأثورة من الحكماء الإلهيين، وهو تربية الإنسان وصفا وعلما باستعمال

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

علـوم ومعـارف لا يبقى معهـا موضـوع الرذائل، وبعبارة أخـرى إزالة الأوصـاف الرذيلة بالرفع لا بالدفع....إلخ[٢٧]

والعنـصر الفاعـل في هـذا المسـلك والـذي تسـتمد الأخلاق عنـصر الإلزام والالتـزام لتطبيق المنظومـة والتشريعـات الأخلاقيـة – والإلـزام جوهـر الأخـلاق– هـو طبيعـة العلاقة بـين العبد وخالقـه، فلـما كانـت الغاية مـن وجـود الأخلاق بوجـه عـام حـث الإنسـان لنيـل السـعادة وقيادة المجتمـع نحو كماله وسـعادته، كان الإيـمان بفكرة التوحيـد والإيمان بأنّ لهذا المجتمـع والكون خالقاً واحداً، يعبـده الناس ويرتبطون معـه برباط الحب والشـوق، كفيـلاً أن يجعـل مـن الإنسـان العارف بمقامه وبخالقه وقتئذٍ، مطيعاً وملتزماً ومن المحال أن يعـصي هذا الخالق المحبـوب أو يخالفه في أوامره أو يرتكب نواهيه وهو بين يديه وحاضر في مملكته، فتكـون الأخـلاق – أخـلاق الحـبّ والتوحيـد – رادعـاً قوياً وملزماً فاعلا للالتزام بالتوصيات التي يريدها هذا المحبوب الواحد.

فيجتمـع في عنـصر (الحبّ) الجـذب والتوجّه للكـمالات المطلقـة، ومبـادئ كل خـير وصـلاح بكمالها الأعلى، حيث سـيدرك هذا الإنسـان، وبأيّ مرتبة مـن وعيه وإدراكه نحو تحقيـق مصلحته، أنّ هـذه المصلحـة والغايـة التـي ينشـدها وإنْ أدركها بمسـتويات مختلفـة لكـنّ مصدر إشـعاعها واحد، والهدف واحد لا أكثر.

مـن البـيّن جـداً هنـا أنّ الجمع بـين (مدركات اعتباريـة) الغايـة منهـا تحقيـق مصلحـة الإنسـان (=الحيثيـة الأولى عنـد الطباطبائـي لتكـوّن الاعتبـارات) سـتلتقي بشـكل طبيعـي، مدفـوع مـن واقـع الإلهام والفطرة التي غرسـت مسـبقا في الإنسـان، مـع غايـة قصـوى وحـبّ معتمـل نحو الخالق الأوحد بما يمثلـه من كمال للغايات، وكمال لكل المصالح التي يريدها الإنسـان (أخلاق الحبّ والتوحيد). ولا تضرّ مراتـب المصلحة، ودرجات الغايـات التـي كان ينشـدها هـذا الإنسـان، والتي سار بها الإنسان في مختلف الأزمنة، ما دامت الغاية الأخـيرة واحدة، والشـعاع قادم مـن مصدر كامل واحد، والآلة التي كانت ترصده عينها وإن اعترتها بحسـب ظروف الزمان والمكان ضبابية أو تشويش مـا، لكنّه لا يغـير من جوهرها المـزروع في فطرتها، والـذي هداه الله له (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّـبِيلَ)[٢٨] وجعله يسـير نحـو الله، الهدف الأسـمى ويكـدح لغرض الوصول (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ)[٢٩]، وإن اختلفت مراحل إدراك الإنسان لنورها وجوهرها المـتّقد في باطنه.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الخاتمة

ترتكز رؤيـة العلامـة الطباطبائي على أسـاس جوهري في بنائهـا، يعتبر أنّ كل موجودات الكون وأفعالهـا هـي مخلوقـات لله تعـالى، وبالتـالي أفعالها وأفكارهـا وإدراكاتهـا هـي ممـا يقع تحت سـلطانه تعـالى. فالإنسـان يسـير في حياته لتحقيق السـعادة والكمال الذي خلقه الله تعالى لأجل نيله وتحقيقه.

فالتكاليف الشرعية (الأحكام) هي التي تقوده بهذا الاتجاه، وما يدركه الإنسـان مـن قضايا عقلية أخلاقية أخـرى (اعتبارات فرضهـا عليه الاجتماع الإنسـاني) إنّما هي ترشحات فطرته التي أودعه الله تعالى في نفسه وغرسـها داخله، لتكون هادية له إذا ما اسـتمع لهـا ولم يعصها أو يعدمهـا بزلاته وذنوبه (إِنَّـا هَدَيْنَـاهُ السَّـبِيلَ إِمَّا شَـاكِرًا وَإِمَّا كَفُـورًا)[٣٠]، (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا[٣١].. وسـنعرض هنـا أهـم مميـزات نظريـة الطباطبائـي أوّلاً، ثـم نتبعهـا ببعض الملاحظـات التي رصدتها دراسـتنا حول رؤيته وبحوثه التي تناولت الفلسفة الأخلاقية.

ومن مميزات رؤيته الأخلاقية:

١ – الريـادة في التنظـير للفكـر الأخلاقـي على المسـتوى الإسـلامي، فهـو مـن أوائـل مـن اعتنى بالبحـث الأخلاقـي الإسـلامي مـن المعاصريـن، وحـاول صياغـة النظريـة الأخلاقيـة ذات الطابع الديني.

٢ – التمييـز بـين الإدراكات الأخلاقية العقلية والأحـكام الشرعية: فحـاول الطباطبائـي التمييز بوضـوح بـين المـدركات الأخلاقيـة والقضايـا الشرعيـة في نصوصه.[٣٢] بخـلاف بعض الباحثين الذيـن مازجوا بـين القضايا الأخلاقيـة والأحكام الشرعيـة كالدكتـور محمـد عبـد الله دراز في كتابـه دسـتور الأخـلاق في القرآن. هـذه الفـرز بين نوع الأحـكام الأخلاقيـة والقضايـا الأخـرى الحقيقية يعتبر تقدماً منهجياً خصوصا إذا ما نظر له في الحقبة الزمنية التي صدر فيها في بداية القرن العشرين.

ملاحظات نقدية على النظرية

تواجه أطروحة العلامة الطباطبائي تسـاؤلات عدة ينشأ بعضها بسبب غياب الطرح الموحّد لنظرية متكاملة. وينشـأ بعضها الآخر من عدم القدرة على التبرير المنهجي أو المنطقي لبعض مفاصل النظرية.. وقد سعينا أن يكون طرحنا لنظرية العلامة واضحاً يـبرز مفاصل النظرية الأخلاقية، وهنا سـنركز على بعض الجوانب والملاحظات الأساسية التي يمكن أن تطرح على بنية نظرية العلامة للأخلاق القرآنية:

عـدم طـرح نظريـة واضحـة العنـاصر: المتابع لطـرح العلامة الطباطبائي يـرى أنّه على الرغم من منهجيته العقلية الدقيقة لكنّ بحثه وطرحه لقضايا لنظرية الأخلاقيـة لم يكن ذا محورٍ خاص بموضوع النظرية الأخلاقية بشـكل مفصّـل وخاص بها، بل كان موزّعـاً على مجموعة بحـوث وفي كتب متعدّدة له. بل حتى كتاب الميزان الذي هو موضع دراسات

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

تفسيرية معمّقة عن الآيات القرآنية، والذي يفترض أن يعرض وجهة نظر قرآنية متكاملة، يعاني الباحث فيه من تجميع كل الأفكار التي يريدها حول نظرية متكاملة، فإنك ستجد بعض الكلام في المجلد الأول، ثمّ تتمة الكلام والطرح تأتيك في جزء أخر ربما هو الجزء العشرون!

ولم يأت بنظريته بشكل مفصّل على غرار ما نجده في دراسة الدكتور دِراز(دستور الأخلاق في القرآن) من خلال عناصر واضحة قابلة للرصد المباشر، بل إنّ تفريق هذه الآراء في أماكن متعددة أثار أفهاماً خاطئة لنظرية الطباطبائي اعتبر بسببها متناقضاً في كتبه وليس ذا منهجٍ موحدٍ في رؤيته للأخلاق.[٣٣] فكرة (الفطرة) و(الهداية الإلهية الباطنية): فقد اعتبر (الفطرة) وعنصر (الهداية الإلهية الباطنية) للإنسان فكرة جوهرية في نظريته، واعتماده عليها جعلها تظهر مركزيتها بامتياز، وتكون نواة لنظريته الأخلاقية. ومن خلالها استطاع التوفيق بين قضايا العقل وقضايا الدين في انسجام ومنطقية داخل رؤيته الأخلاقية الدينية.

لكن الالتزام بأنّ أحكام العقل هي هداية إلهية يعتبر نوع من المصادرة بقاعدة تدخل الإله التشريعي والتكويني في هداية الإنسان، ويعدّ تصويباً لمرجعية العقل بشكلٍ مطلق، وذلك على الرغم مما يواجهه العقل في تكوينه خلال تجربته في الحياة إلى حين ينضج، حيث سيمر بتجارب مختلفة وتربية متنوعة تشكّل قدراته وقوانينه وقناعاته التي يرى العالم من خلالها، والتي تختلف من بيئة إلى أخرى. وعلى فرض أنّ اتباع العقل ورد فيه حثّ أو ترخيص، فهذا لا يجعل الأحكام العقلية أحكاماً إلهية (=شرعية)، لأنّ أحكام العقل تبقى خاضعة لقانون ومصدرية العقل ولا تنسب إلى الله تعالى. أمّا إذا قلنا أنّ أحكام العقل هي (وحيٌ باطني)، وهي هداية إلهية على لسان العقل، فهذا يذكّرنا بمقولة القديس اكليمندس الإسكندري (توفي ٢١٥م) الذي كان يسعى للتوفيق بين الفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي، حيث كان يرى أنّ الله خاطب اليهود بالوحي والكتاب، وخاطب اليونانيين في عقولهم وفلسفتهم![٣٤]

وكذلك نرى أنّ اعتماد الطباطبائي على فكرة (الفطرة) بالمعنى الذي شرحه الذي يشتمل على (الهداية الباطنية) المغروسة في الإنسان يشبه إلى حد كبير فكرة المتصوّفة عن الإنسان الكامل.[٣٥] فالمتصوّفة يؤمنون بأنّ الإنسان لديه سعي نحو تحقيق الإنسان الكامل الموجود في داخله والتي تمثّل صفات الله تعالى (=خلق آدم على صورته[٣٦] هذه الصفات التي تمكّن النبي محمد (ص) من تفعيلها والوصول بها نحو الكمال الذي يدلّنا على قدرتنا كبشر بلوغ هذه الغايات وذلك الهدف أو وجوب السعي لنيل أكبر قدر من هذا الكمال على الأقل.

وهذه الفكرة ليست بعيدة كما قلنا عن فكرة أفلاطون عن (المُثل)، فالتأثير الفلسفي واضح في الفكرة داخل آراء الطباطبائي في الأخلاق، لأنّنا إذا رجعنا إلى ظواهر القرآن نجده حيادياً تجاه

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

كون الإنسان مشتمل على الكمالات من عدمه، نعم القرآن يؤكد أنّ الإنسان هُدي إلى (القدرة) و(الطريق) لتشخيص الخير والشر في حياته، ولم تذكر الآيات أنّ الإنسان الكامل موجود فيه (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا).

هذا، على أنّ العلامة الطباطبائي يقول شارحاً ما تواجهه الفطرة من تحدّيات: "فلا الإنسان انصرف في حين من أحيان حياته عن حكم الاستخدام، ولا استخدامه لم يؤد إلى الاجتماع وقضى بحياة فردية، ولا اجتماعه المكون خلا عن الاختلاف، ولا الاختلاف ارتفع بغير قوانين اجتماعية، ولا أنّ فطرته وعقله الذي يعدّه عقلا سليماً قَدرت على وضع قوانين تقطع منابت الاختلاف وتقلع مادة الفساد، وناهيك في ذلك: ما تشاهده من جريان الحوادث الاجتماعية، وما هو نصب عينيك من انحطاط الأخلاق وفساد عالم الإنسانية، والحروب المهلكة للحرث والنسل، والمقاتل المبيدة للملايين بعد الملايين من الناس، وسلطان التحكم ونفوذ الاستعباد في نفوس البشر وأعراضهم وأموالهم في هذا القرن الذي يسمى عصر المدنية والرقى والثقافة والعلم، فما ظنك بالقرون الخالية، أعصار الجهل والظلمة؟."[٣٧]

فيقرّر العلامة أنّ الفطرة لم تستطع النجاح في حسم مادة الاختلاف وتعيين الأخلاقي من غيره، فكيف لنا أن نضعها معيارا لتحديد الحكم الأخلاقي أو القضية الأخلاقية الخيّرة؟ ونميز ما هو قبيح مما هو حسن عن طريق عقل الإنسان أو فطرته؟

عدم وضوح معيارية الحكم العقلائي بالتحسين والتقبيح: الإلزام عند العلامة ذا منشأ وضرورة يفرضها الاجتماع البشري وغاياته، وهذه الضرورة تنشأ من حاجات آنية مدركة بشكل حسّي، مصالح ومنافع، ودرء مفاسد. فكيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين جعل الأخلاق ذات غايات توحيدية هدفها رضوان الله والدخول في طاعته وعبوديته؟! فما هو مصدر الإلزام حينئذٍ؟ وحتى المصادرة على ذلك: بأنّ الفطرة البشرية تحمل روح الطاعة والانقياد لله وبالتالي تحقيق غايات الاجتماع هو تحقيق لغايات الفطرة التي زرعها الله في صميم الإنسان، والتي ستوصله لسعادة النهائية.

أقول: فحتى هذا الكلام لا يمكن الموافقة عليه، لأنّ النظر للإلزام الأخلاقي تجاه كل فعل خارجي تكون على حدةٍ، كعلاقة تفاعلية تولّد الالتزام والإلزام له بأداء هذا الفعل الأخلاقي... أمّا توقف هذا الإدراك على فهم ورؤية متكاملة وناضجة فسيكون متأخر زماناً جداً، وخاضع لمصادرات كثيرة لا يمكن التمسّك بها منطقيا وواقعياً. ولا يتوفّر عليها الجميع.

أضف لذلك أنّ هذا يجعل الإلزام الأخلاقي حكرا على من يؤمن بالنظرية التوحيدية وحسب ولا يمكن لغيره من العقول من إدراك الإلزام الأخلاقي وهذا لا يمكن الموافقة عليه بتاتاً.

تكوّن المشهورات العقلائية: القضايا الأخلاقية التي آمن بها العلامة الطباطبائي وجعل

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

مصدرها مشهورات عقلائية، تواجه صعوبات وتساؤلات عدة: هل هذه القضايا توجد دفعة واحدة لدى الإنسان أم من خلال تجربته الخاصة (لكل إنسان على حدة)؟ فإنّها إذا كانت تظهر دفعة ويعلم بها الإنسان أصبحت حينئذٍ مدركات للعقل النظري وليس للعقل العملي، وإذا كانت حصيلة تجربة الإنسان هي التي توفّر له هذه التوافقات العقلائية، فهذا أوّلاً خلاف ما نجده في واقعنا من كونها منجزة ومتوافق عليها مسبقاً. وثانياً: ما هو نوع هذه القضايا قبل أن تكتمل عملية التوافق العقلائية؟ وما هو منشؤها؟ وهل يلزم الإنسان المنشئ لها العمل والجري وفقاً لها قبل أن تتمّ وتنضج عملية التوافق عند كل العقلاء وتصبح مشهورة عقلائية؟ وما هو المبرر المنطقي لحقانيتها عندئذٍ؟

ثم هل لكل جيل توافقاته العقلائية؟ أم أنّ الأجيال اللاحقة تتلاقها كقضايا منجزة مدركة للعقل النظري؟

من الواضح أننا نواجه صعوبة في تفسير هذا المدركات وإعطائها حقّانية تتناسب مع ما فرض له من دور في سياسة حياة الإنسان وتنظيم أمور حياته وإيصاله لكماله، فمثل هذه القضايا في الحالة هذه تفتقد الحقّانية في الجري وفقاً لها والعمل طبقها.

لو سلّمنا منشأ قضايا الأخلاق بالتوافق العقلائي، سنسأل عن طبيعة هذا الإلزام الذي تناله هذه القضايا، هل هو بمستوى واحد في جميع القضايا مع علمنا باختلاف موضوعاتها؟ وهل هو بمستوى واحد في الموضوع الواحد عند مختلف الناس مع اختلاف العقول وطبيعة الإدراك للمصلحة الفردية أو النوعية التي تستوجب العمل بهذا الإلزام؟ فهل يمكن أن يتنازل بعض العقلاء عن الحكم الأخلاقي لضعف في إدراكهم لحقيقة هذا الإلزام بسبب نقص في كمال أنفسهم وعدم إدراكهم لما يستلزمه من مصلحةٍ أدركها غيرهم بنحو أشد وأكثر تأكيداً؟ ونحن بدورنا لا نقبح أفعالهم لذلك السبب؟! هل يا ترى هذا التفاوت في درجات الإلزام مبرَّر في القضايا الأخلاقية في إطار الموضوع الأخلاقي الواحد؟!

تعتمد فكرة العلامة على فكرة (الحبّ) ومفهوم (التوحيد = الأخلاق التوحيدية) ومن الواضح أن هذه الأفكار تعتبر أفكاراً مركبة في المنظومة الدينية، وتأتي في وقت متأخر من إدراك القضايا الشرعية والعمل وفقاً لها، وإدراك القضايا الأخلاقية والالتزام بها.. وحينئذٍ كيف يمكن التوفيق بوضع معيار للالتزام الديني يأتي متأخراً رتبة عنه؟

ما هو المقصود بمفهوم (الحبّ) لله تعالى؟ هل هو المعنى العاطفي الوجداني؟؟ بالتأكيد ليس الموضوع هنا انجذابا عاطفياً، بل هو أنسب أن يكون بمعنى معرفة واحترام (= تقوى) للساحة الإلهية، وحينئذٍ سيعود التساؤل عن ضابطة هذه التقوى ومحدّداتها وهو ما سيكون متأخر رتبة عن الالتزام الديني بالتعاليم الإلهية.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

هـذه النظرية اسـتبعدت الأشـخاص الذين لا يملكـون وعياً دينياً من الحصـول على قيم أخلاقية بالشـكل الذي يفهمـه العلامـة الطباطبائي، وهذا يشـكّل مصـادرة كبيرة في الحـوار مـع الآخر. على الرغـم مـن أنّ القضايـا الأخلاقيـة تشـكل أرضية مشتركة في الحوار وتقريب الآراء.

الهوامش

(Endnotes)

(١) الدكتـور جعفـر صادق الجزائري، كليـة الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسـلامية الجامعـة ٩iku.@lecbasra edu.iq

(٢) الأصفهـاني، محمد نـصر، المباني الأخلاقـي عند العلامة الطباطبائـي (بالفارسـية = مبـاني اخلاقـي علامـه طباطبائي)، مجلة الأخلاق، العدد١١.

(٣) أبـو رغيـف، الحكمـة العمليـة (دراسـات في النظريـة وآثارهـا التطبيقيـة)، النجف – مركز رعاية الدراسـات الجادة، ط١، قم دار الفقه ١٤٢٣ هـ. ١٢٩

(٤) أصفهـاني، محمد نصر، تعـدد النظريـات الأخلاقية عند العلامـة (بالفارسـية = تكثـر در آراء اخلاقـي علامـه طباطبائي)، مجلة فلسـفة وكلام، إصدار اصفهان، شتاء ١٣٨٣ هـ. ش. عدد١٤. ٢١-٤٥

(٥) ضاهر، عادل، الأسس الفلسفية للعلمانية، بيروت – دار الساقي، ط٢، ١٩٩٨، ١٩٢.

(٦) ضاهر، عادل، الأسس الفلسفية للعلمانية، بيروت – دار الساقي، ط٢، ١٩٩٨، ١٩٢.

(٧) ضاهر، عادل، الأسس الفلسفية للعلمانية، بيروت – دار الساقي، ط٢، ١٩٩٨، ص٦.

(٨) الطباطبائـي، محمـد حسـين، مجموعـة رسـائل، رسـالة التركيب، رسـالة الاعتبارات (ضمن مجموعة رسائل)، تحقيـق: صبـاح الربيعي، النـاشر: الباقيـات – قم ط١، ١٤٢٨ هـ، ص ٣٠٥.

(٩) الطباطبائـي، محمـد حسـين، مجموعـة رسـائل، رسـالة التركيب، رسـالة الاعتبارات (ضمن مجموعة رسائل)، تحقيـق: صبـاح الربيعي، النـاشر: الباقيـات – قم ط١، ١٤٢٨ هـ، ص ٣٤٧.

(١٠) الطباطبائـي التبريزي، محمد حسـين، حاشـية الكفاية، الناشر: (بنياد علمي وفكري علامه طباطبائي) بالتعاون مع (نمايشگاه ونشر كتاب).ج١، ص٧.

(١١) الطباطبائي، الميزان في تفسـير القرآن: محمد حسـين بن محمـد بن محمد حسـين الحسـني الطباطبائـي التبريزي، نـاشر: مكتـب النشر الإسـلامي – قم، الطبعـة وتاريخ النشر: الخامسة – ١٤١٧ هـ، ج ٥، ص: ٩ – ١٥.

(١٢) الطباطبائي التبريزي، محمد حسـين، حاشـية الكفاية، الناشر: (بنياد علمي وفكري علامه طباطبائي) بالتعاون مع (نمايشگاه ونشر كتاب).ج١، ص٧. ص٩٧.

(١٣) الطباطبائـي، محمـد حسـين، مجموعة رسـائل، رسـالة التركيب، رسـالة الاعتبارات (ضمن مجموعة رسائل)، تحقيـق: صبـاح الربيعي، النـاشر: الباقيـات – قم ط١، ١٤٢٨ هـ، ص ٣٠٧.

(١٤) الطباطبائي، التبريزي، محمد حسـين، حاشـية الكفاية، الناشر: (بنياد علمي وفكري علامه طباطبائي) بالتعاون مع (نمايشگاه ونشر كتاب) ج١، ص٦٣.

(١٥) المصدر السابق: ج١، ص٧

(١٦) الطباطبائـي،، محمد حسـين، أصول الفلسـفة والمنهج الواقعـي، تعليـق مرتـضى مطهـري، تعريب: عـمار أبو رغيف، مؤسسـة أم القرى للتحقيـق والنشر–قم، ط١، ج١(ذي الحجة ـ ١٤١٨هـ)، ج١، ص٥١٢ – ٥١٧

(١٧) المصدر السابق: ج١، ص٥١٩، ٥٣٢-٥٣٣.

(١٨) المصدر السابق: ١٤١٨، ج١، ص٥٢٤.

(١٩) احمدى حسـين، و محمد كريمى، بررسـى مَسأله بايد و

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

هسـت در ديدگاه علامه طباطبايى (ره)، مجله جاويدان خرد، دوره ١٥، شماره ٣٤، ص٥-٢٤.

(٢٠) سورة الشمس: ٧-٨.

(٢١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين بن محمد بن محمد حسين الحسني الطباطبائي التبريزي، ناشر: مكتب النشر الإسلامي – قم، الطبعة وتاريخ النشر: الخامسة – ١٤١٧ هـ، ج ٢٠، ص: ١٢٣ – ١٢٤.

(٢٢) الطباطبائي، محمد حسين، مجموعة رسائل، رسالة التركيب، رسالة الاعتبارات (ضمن مجموعة رسائل)، تحقيق: صباح الربيعي، الناشر: الباقيات – قم ط١، ١٤٢٨ هـ، ص٣٤٧.

(٢٣) أبو رغيف، الحكمة العملية (دراسات في النظرية وآثارها التطبيقية)، النجف – مركز رعاية الدراسات الجادة، ط١، قم دار الفقه ١٤٢٣ هـ. ٣٣٩-٣٥٧.

(٢٤) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين بن محمد بن محمد حسين الحسني الطباطبائي التبريزي، ناشر: مكتب النشر الإسلامي – قم، الطبعة وتاريخ النشر: الخامسة – ١٤١٧ هـ، ج ١، ٣٥٦.

(٢٥) المصدر السابق: ج ١، ٣٥٦.

(٢٦) المصدر السابق: ج ١، ٣٦١.

(٢٧) المصدر السابق: ج ١، ٣٥٨.

(٢٨) سورة الإنسان: ٣.

(٢٩) سورة الانشقاق: ٦.

(٣٠) سورة الإنسان: ٣.

(٣١) سورة الشمس: ٨.

(٣٢) أميد، الدكتور مسعود، العلامة الطباطبائي وعلم الأخلاق، ضمن (محمد حسين الطباطبائي مفسّراً وفيلسوفا دراسات في فكره ومنهجه، مجموعة مؤلفين)، تعريب عباس صافي، نشر مركز الحضارة للفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠١٢.

(٣٣) أبو رغيف، عمار، الأسس العقلية، دراسة في المنطلقات العقلية للبحث في علم الأصول – السيد عمار أبو رغيف، نشر بهار، سنة ١٤٢٥، ج١، ١٣٠

(٣٤) حيدر، شمول الشريعة، ط١، دار روافد ٢٠١٨، ص ٣٨.

(٣٥) عبد الرحمن، الإنسان الكامل في الإسلام، وكالة المطبوعات – الكويت، ط٢، ١٩٧٦، ص ٦٥.

(٣٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث – بيرت – لبنان بلا، ط٣ المنقحة، ج٤، ١١.

(٣٧) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ناشر: مكتب النشر الإسلامي – قم، الطبعة وتاريخ النشر: الخامسة ج ٢، ١٣٢.

مجلَّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

المصادر

القرآن الكريم

- أبـو رغيف، الحكمة العملية (دراسـات في النظرية وآثارها التطبيقيـة)، النجف – مركـز رعاية الدراسـات الجادة، ط١، قم دار الفقه ١٤٢٣ هـ.
- الأصفهـاني، محمـد نـصر، المبـاني الأخلاقي عنـد العلامة الطباطبائي (بالفارسـية = مبـاني اخلاقـي علامـه طباطبائي)، مجلة الأخلاق، العدد١١.
- الأصفهـاني، محمـد نصر، تعـدد النظريـات الأخلاقية عند العلامـة (بالفارسـية = تكثـر در آراء اخلاقـي علامـه طباطبائي)، مجلة فلسـفة وكلام، إصدار اصفهان، شتاء ١٣٨٣ هـ. ش. عدد١٤.
- أميـد، الدكتـور مسـعود، العلامـة الطباطبائـي وعلـم الأخـلاق، ضمـن (محمـد حسـين الطباطبائـي مفـسّراً وفيلسوفا دراسات في فكره ومنهجه، مجموعة مؤلفين)، تعريـب عبـاس صـافي، نـشر مركـز الحضـارة للفكـر والإصلاح في العالم الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠١٢.
- بـدوي، عبد الرحمن، الإنسـان الكامل في الإسـلام، وكالة المطبوعات – الكويت، ط٢، ١٩٧٦.
- حبّ الله، حيدر، شمول الشريعة، ط١، دار روافد ٢٠١٨.
- حسـين احمـدى و محمـد كريمى، بررسـى مَسـأله بايد و هسـت در ديـدگاه علامـه طباطبايـى (ره)، مجله جاويدان خرد، دوره ١٥، شماره ٣٤، ص٥-٢٤).
- سروش، الدكتور عبد الكريم في دراسة مقارنة للإدراكات الاعتباريـة، بحث منشـور ضمـن كتاب (تفـرج صنع) باللغـة الفارسـية، ص٣٥٣-٣٥٤. (عـن الأسـس العقليـة: دراسـة في المنطلقـات العقلية للبحـث في علم الأصول، السيد عمار أبو رغيف، ص١٢٩).
- ضاهر، عادل، الأسـس الفلسـفية للعلمانيـة، بيروت – دار الساقي، ط٢، ١٩٩٨.
- الطباطبائـي التبريـزي، محمـد حسـين، حاشـية الكفايـة، النـاشر: (بنيـاد علمـي وفكـري علامـه طباطبائـي) بالتعاون مع (نمايشگاه ونشر كتاب).
- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين بن محمد بن محمد حسـين الحسـني الطباطبائي التبريـزي، ناشر: مكتـب النشر الإسـلامي – قم، الطبعـة وتاريخ النشر: الخامسة – ١٤١٧ هـ
- الطباطبائـي، محمـد حسـين، أصـول الفلسـفة والمنهـج الواقعـي، تعليـق مرتـضى مطهـري، تعريب: عـمار أبو رغيـف، مؤسسـة أم القـرى للتحقيـق والنشر–قـم، ط١، ج١(ذي الحجـة ـ ١٤١٨هــ)، ج٢و٣ (شـوال ـ ١٤٢١هـ).
- الطباطبائـي، محمـد حسـين، مجموعـة رسـائل، رسـالة التركيب، رسـالة الاعتبارات (ضمن مجموعة رسائل)، تحقيـق: صبـاح الربيعي، النـاشر: الباقيـات – قم ط١، ١٤٢٨ هـ
- المجلسي، بحار الأنوار، دار إحياء التراث – بيرت – لبنان بلا، ط٣ المنقحة

Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn.2224-0934
Info@baytalhikma.iq

Moral Cognition and the Divine Command Theory in the Thought of Muḥammad Ḥussein al-Ṭabāṭabāʾī: Analysis and Critique

Dr. Jaafar Sadiq Al-Jazaeri

Abstract:

This study aims to investigate the role of moral cognition (mudrakāt al-ʿaql al-akhlāqiyya) in the contemporary philosopher and religious thinker Muḥammad Ḥusayn al-Ṭabāṭabāʾī's ethical thought, which may be situated within the paradigm of the Divine Command Theory. While affirming the divine command as the ultimate source of morality, al-Ṭabāṭabāʾī nonetheless assigns reason a significant role in apprehending moral propositions. The rational faculty that is central to his philosophical investigations remains active in his ethical writings, occupying an essential place within a religious–ethical framework developed by a philosopher and Qurʾānic exegete.

The main question this research seeks to address is: Did al-Ṭabāṭabāʾī succeed in resolving the central dilemmas of moral philosophy by integrating the religious grounding of ethics with rational moral cognition? How did he engage with key challenges such as the source of moral obligation, the problem of deriving normative moral propositions from necessary ontological ones (as articulated by Hume), and the issue of exceptions in moral reasoning? To what extent was he able to overcome these challenges in his theory?

Keywords: al-Ṭabāṭabāʾī; Divine Command Theory; moral obligation; reason; moral propositions; fiṭra (innate disposition).